وقد انفصلت عن متطلبات توفير الضمان الاجتماعي المرتبط بكيان المجتمع السياسي. أمّا في الدول الاستيطانية، فان الامور تأخذ صورة عكسية، حيث يلاحظ ان السياسة الداخلية، في معظم خصائصها وعناصرها، تتحدّد، وتنبع من عوامل أغلبها له طابع غير محلي.

لقد كيّف المشروع الصهيوني بنيته الاقتصادية ـ الاجتماعية وفقاً لمتطلبات الصراع مع الخارج، حيث اخضعت كل جوانب النشاط الداخلي، والخارجي، لاعتبارات الصراع الدائم مع المحيط العربي، ابتداء من عملية اختيار المهاجرين، وسبل تجميعهم، وتوزيعهم الجغرافي داخل فلسطين المحتلة، وكيفية تجنيد الأيدي العاملة، وبناء اقتصاد الحرب، وتطور المؤسسة العسكرية، وآلية عمل الحكومة، والأحزاب، والمؤسسات العامة، والجهاز الاداري، والاعلامي، والخطط التربوية والتعليمية، والخدمات العامة، بما فيها طرق المواصلات، والمطارات، والموانىء، والمستشفيات، وغيرها.

وعلى لهب الصراع الخارجي، تشكّلت مجموعة القيم والمثل السياسية والخبرات الفردية، والجماعية، التي كوّنت مفردات الثقافة السياسية للجمهور الاسرائيلي، وللنخبة الحاكمة. ومع الاقرار بأن عملية توزيع القيم في المجتمع تعتبر احدى الوظائف الأساسية للدولة، وبصورة أدق للنخبة الحاكمة، الاّ ان النخبة الحاكمة نفسها، وخاصة في نظام برلماني مثل اسرائيل، كثيراً ما تجد نفسها أسيرة المزاج الجماهيري، ممّا يقسرها على الاقتراب من مزاج الجمهور لتحظى بثقته، ولتصل من خلال هذه الثقة الى السلطة، وهو ما يبدو، بصورة جلية، في نسق العلاقات المتغيرة، بين الأحزاب السياسية الاسرائيلية وبين جمهور الناخبين الاسرائيليين، وفي تغيّر برامج تلك الأحزاب، وحتى ايديولوجيتها، بما ينسجم مع تطورات المزاج الشعبي العام.

ان الصراع الخارجي، بصورته النظرية، وتجسيداته الفعلية، هو الثابت الوحيد بين جملة المتغيرات التي أسهمت في تكوين الثقافة السياسية الاسرائيلية. فحدود الدولة، وسكانها، ومقدرتها الاقتصادية، وقواها السياسية، كلها خضعت، خلال تاريخ المشروع الصهيوني، لمتغيّرات جوهرية، غير طبيعية، استدعاها الثابت الوحيد في مكوّنات المشروع، وهو الصراع الخارجي. ولهذا، يجد الدارس ان محددات الثقافة السياسية الاسرائيلية ليست سوى مفردات مشتقة من الصراع الخارجي، وان المتغيرات هي عوامل ثانوية تستمد قيمتها، في الثقافة السياسية، من خلال علاقتها بالصراع، وليس بمعزل عنه. فالحدود هي حدود الأمن اللازمة لكسب الصراع، والسكان هم مادة هذا الصراع، وهم المستهدفون وجودياً من قبل الاعداء، والمقدرة الاقتصادية هي وسيلة لتوفير متطلبات الصراع أولاً، والقوى السياسية هي المسؤولة عن قيادة المجتمع لكسب الصراع، الخ.

ان الاطار العام للثقافة السياسية الاسرائيلية قد نشأ، وتبلور، عبر تجربة قصيرة نسبياً، امتازت بخصوصيتها وحدّتها. فالتجسيد الملموس للصراع مع المحيط تمثّل في ست حروب كبيرة خلال جيلين، بالاضافة الى حالة توتر مستمرة مع المحيط، وفي الداخل، مع انسداد الافق نحو المستقبل. ولهذا، فان مفردات الثقافة السياسية هذه لا تخرج على محتوى الصراع المستمر، بل تنبع منه، وتصب فيه. وهي، بصورة عامة، تتشكل من: التوتر، والقوة، والأمن، والعدو، والسلام.

التوتر كضرورة اجتماعية

سبقت الولادة الرسمية لاسرائيل ولادة جملة من التناقضات داخل التجمّع اليهودي، نجمت عن الآلية المصطنعة لتشكّل هذا التجمّع، الذي نشأ، وتطور، عبر عمليتي الهجرة والاستيطان، المترافقتين مع الصراع ضد الفلسطينيين. وقد تزايدت تلك التناقضات، وتفاقمت، عقب قيام اسرائيل،